قصائد تكريم مطران

في الميزان

للاستاذ علي متولي صلاح

— ٣ —

عنـد ما كرموا شوقي منذ أكثر من عشرين عاماً أرسل لبنان شاعره المجلي بشاره الخوري فصدح بقصيدته الخالدة :

قف في ربى الخلد واهتف باسم شاعره
فسدرة المنتهى أدنى منـــاره

فطار ذكرها في الآفاق ، وبقيت بقاء الزمان ... وعند ما كرموا خليل مطران في الشهر الماضي أرسل لبنان الأستاذ شبلي الملاط بك شاعر الأرز ، وهو الذي نعرف له ماضيه البعيد ، وآثاره الحسان ، وبدائعه الجميلة ، فصدح بقصيدة خانه التوفيق فيها كثيراً ! ! ... نعم ، كنا نود لو أن لبنان كرم الخليل وهو ابنه وشاعره ، وقيثارته المنفردة بذكره وحمده ، المتغنية بأمجاده وآثاره ، المترجمة عن مشاعره وهواه . كنا نود أن يكون تكريمه بالجليل العظيم من الشعر ، والفخم الضخم من الكلام الذي يسير سير الشمس ، ويمشي على أفواه الناس مشي النار في يابس الحطب وإنه بذلك لقمين .

ألقى الأستاذ شبلي الملاط بك قصيدة طويلة تزيد على الستين بيتاً لم يعرض لذكر الخليل إلا في عشرة منها ، وانصرف في باقيها يسوق كلاماً يأخذ بعضه برقاب بعض ، ويجر نفسه جراً ، دون وقفة تأمل ، أو هدأة تصور ، ودون خلجة قلب ، أو همسة نفس ! ولقد كنت تحس وأنت تقرأ القصيدة أنك تعتسف في بيداء مجهل ، لا ظل ولا ماء ، وكنت تشعر بالفراغ يشتملك ويحيط بك من كل نواحيك ، وتحس إقفار البيداء إقفاراً شديداً ، فتنظر هنا وتنظر هناك علك تصيب حياة أو تجد أنساً فلا تلقى إلا سوراً باهتة لا تدل على شيء ، ولا تسمع إلا أصداء بعيدة لا تؤدي بك إلى شيء !

ولقد أسرف الشاعر في نسج أبيات يشهد الله أنها كانت هواء خلاء لا تكاد تعرف لها معنى إلا أن يقال عنه طويل النفس فأي معنى في قوله :

تعاقبت القرون فمن هبوط تمر به القرون ومن صعود !

وأي معنى وأي شعر في قوله :

لها في كل ناحية حـدود وتأبى أن تنام عن الحدود !

ولقد كانت قصيدة شبلي الملاط جميعها كالحجارة المرصوصة المصفوفة بعضها وراء بعض لا ترى بينهما زهرة يانعة ، أو وردة متفتحة ... وقد خلت القصيدة من كل خيال ومن كل ظل ومن كل صورة من بدائع الصور التي لا يكون الشعر شعراً إلا بها وإلا فهو كلام لا طعم له ولا مذاق فيه ! وأغلب ظني أن الشاعر عنى بأن يضفي على قصيدته ثوب القصة أو الملحمة القصيرة فخانه الحظ كثيراً فخرجت قصيدته للناس وهي أشبه شيء بأسطورة جافة خشنة من أساطير الأقدمين أو بحكاية من حكايات كليلة ودمنة ! وليتها كانت !

وكان الكثير من كلامه مبتذلا رخيصاً بعيداً عن جو الشعر وما يبغى له من رونق وجمال وإشراق ، وماذا من الشعر في قوله لمصر :

فإنا ما يشاء بنـوك شئنا من استقلال آفاق الصعيد !

وماذا منه في قوله :

بلبنان ... الجلاء أصاب عيداً وفي مصر سنشهد أي عيد !

وماذا منه في قوله إلى عذارى النيل :

وشاركن الشباب وكل حر يموت ولا يعيش من العبيد

أين الموسيقى الشائعة في القصيدة ؟ وأين العبارة الرنانة الآخذة بمجامع القلوب ؟ قصارى ما بلغته هذه القصيدة — وهي لم تصور من نواحي الخليل إلا اليسير القليل — أنها خلت من الأخطاء اللغوية والأخطاء النحوية إلا في كلمة واحدة ، وذلك أضعف الإيمان ! ! ...

وكانت القصيدة الأخيرة في حفلات تكريم الخليل التي قرأناها لصديقنا الشاعر محمد عبد الغني حسن ، وأشهد أن لها في جلتها إشراقا وموسيقى لم يتوفرا لقصيدة الملاط ، غير أن الناظر

فيها نظرة التأمل الدقق ، يجد فيها هنات كنا نربأ بصديقنا عنها فقد ابتدأها بقوله « جئت ألقى فى بابك الأعذارا » والأعذار لا تلقى وإنما تلقى الأحجار[1]، وقال فيها مخاطباً الخليل « أنت كالبدر فى الوجود ائتلاقاً » وكلمة الوجود فوق أنها ليست من الشعر فى شىء لاضرورة لذكرها والأستاذ خير من يعلم ذلك ، وقال عجزاً لأحد الأبيات « ثم أصلح فى كفك المزمارا » وأصلح هذه لغة رجال « التخت » لا رجال الشعر ، وقال البيت الآتى عن العود :

لا تقل حطمته مر الليالى لم تحطم من عودك الأوتارا !

والبيت لا شعر فيه ، وأين هو من قول خليل مطران فى مثل هذا المعنى :

حطم العود إن كر الليالى لم ينادر فى العود إلا الأنينا !

والأوتار لاتحطم وإنما تقطع ولكنه رد العجز على الصدر وكفى . وقال يصف قلب خليل مطران :

أنت ذوّبته حناناً وعطفاً أنت رققته جوى واستعاراً

وما معنى أنه رقعه جوى واستعاراً ؟؟ ، وقوله عن الدموع « زدتها فى عيوننا إكبارا » أقرب إلى كلام العامة وقوله للخليل « يا وقور الأشعار » اضطرار فى الكلام كريه ، فالشعر رجع للانفعال والإحساس الثائر المرهف فلا أفهم وصفه بالوقار ، وقوله عن جبل لبنان إنه « مثل الأهرام فى الجو خلداً » فإن كلمة الجو هنا لا معنى لها ! وقوله بعد ذلك إننا « انتظمنا عواطفاً وشعوراً » يريد العكس أى انتظمتنا عاطفة واحدة وشعور واحد وهذا هو الأولى ...

على أن الأستاذ عبد الغنى كان شاعراً حقا فى قوله :

يا دليل الركبان فى القفر إنى ما رأيت الحياة إلا نفارا
يا دليل السفين فى البحر إنى لم أخض فى الحياة إلا بحارا
وإذا ما الهى نفرن علينا فمن الخير أن نزيد نفارا
فعلينا المسعى الجميل ولكن ما علينا أن ندرك الأوطارا

ولعله كان فى هذه الأبيات يتكلم عن شعور متدفق من نفسه ، وذخيرة مكنونة فى فؤاده .

وكنا نود أن نتكلم قليلا عن شعر خليل ولكننا وجدنا المحتفلين به قد أفاضوا القول فيه ، وصار كل كلام يقال فيه يبدو معاداً مكروراً ... على أننا نقولها قولة حق لا التواء فيها إن الشعر لم يؤد ما يجب عليه لشيخه الجليل ، وإن الشعر قصر كثيراً فى تكريمه والاحتفال به ، والوفاء له ، وكان الرجل حرياً بأن يقال فيه أجزل الشعر ، وأقوى القصيد وأكرمه ، فذلك حق يتقاضاه ويد لاتقوم بشكر أياديه ، وله الممر المديد حتى يؤدى إليه دينه كله !

على محمود طه

(١) وما قول الأستاذ الناقد فى قوله تعالى (ولو ألقى معاذيره) ؟ (الرسالة)

وزارة الصحة العمومية

المرافق العامة

مصلحة الشئون القروية — اعلان

تعلن مصلحة الشئون القروية عن وجود وظائف خالية لمهندسين من الدرجة السادسة بالإدارات الهندسية القروية بمجالس المديريات .

ويشترط فى شاغلها أن يكون حاصلا على بكالوريوس كلية الهندسة عمارة أو مدنى .

فعلى راغبى الالتحاق التقدم لحضرة صاحب العزة مدير عام مصلحة الشئون القروية ٤١ شارع نوبار باشا بالقاهرة فى موعد لا يتجاوز نهاية شهر ابريل سنة ١٩٤٧ . ٧٠٩٢